لمحة

علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام العالمي

341.1:T11iA

طبارة، راشد .

علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام

341.1
T11iA

19 57

الى

شارل فرم

اشعاع لبناني في اناشيده

« الجبل الملهم »

اشعاع انساني في ملحمته

« سرّ الحب »

ودائماً وابداً رسول سلم

في ٢٥/١١/١٩٤٨ قدمت نسخة من هذا الاقتراح اولاً لحضرة رئيس الوفد اللبناني في الاونسكو.

وفي ٦/١٢/١٩٤٨ قدمت نسخ منه لمعالي رئيس المؤتمر العام الثالث للاونسكو ولحضرات رئيس الوفد اللبناني ورؤساء وفود جميع الدول الذين اشتركوا بالمؤتمر المذكور.

907.1
T112aA

راشد طبّاره

علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام العالمي

بيروت
١٩٤٨

علاقة تدريس التاريخ

بمبدإ السلام العالمي

نشر المؤتمر الثقافي ، لجامعة الدول العربية ، المنعقد في لبنان في العام ١٩٤٧ ، كتيّباً يحدد فيه المواضيع التي يقترح على اللجان دراستها . فجاء في الصفحة ٦٠ ما يلي :

« وثمة ظاهرة شائعة في تدريس التاريخ ، وهي الميل الى اعتبار الحروب والفتوحات بمثابة المحور الاساسي في التاريخ . وهذه مبالغة يجب التخفيف منها . ويجب الاّ تعنى بهذه الحروب والفتوحات الا بقدر اثرهـــا في نشوء الامة ، او تطور الحضارة او انتشار الثقافة ».

تلك توصية جمعت فأوعت . وهي التي اوحت اليّ بالاقتراح ، موضوع هذا البحث . فحفظته يومئذ امانة سر

المؤتمر بين وقائعها ، ويغلب على الظن انه لم يرد ذكره في جدول اعمال سنة ١٩٤٧ . هل ترى حان وقت بحثه اليوم ؟ كل شيء يشير الى ذلك . وكان لكلمات صاحب الفخامة رئيس الجمهورية ، التي افتتح بها المؤتمر العالمي للتربية والعلوم والثقافة ، صداه الجميل في جميع القلوب . وهذا مما شجعني على العودة اليه ، وتقديمه في صيغته الحاضرة .

وجاء في بعض الصحف ان المؤتمر الثقافي العالمي ، المجتمع في دورته الثالثة في بيروت ، قد وضع مشاريع كثيرة ، وحدد غايته في هـذه الجملة الواردة في مقدمة ميثاقه : « ترى الحروب نشأتها في ذهنية الانسان . فيجب ان تشيّد دعائم الدفاع عن السلم ، في ذهنية الانسان نفسه » .

هل يجب ان نفهم من هذا القول ، ان مشاريع هـذه المؤسسة المباركة تميل الى اعادة النظر في طرائق التعليم المتبعة اليوم في المدارس ؟ والاّ فما الفائدة التي تتوخاها من اجراء « تبادل الكتب ، والاكثار من تشييد المكتبات العامة في سائر انحاء العالم » اذا لم يكن هنالك نيّة صادقة في حسن انتقاء الكتب او اعادة النظر في رواية الحوادث التي لها علاقة بالحروب ؟

وتراني هنا اقترب من معنى علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام ، لأننا نجد ، بصورة خاصة في كتب التاريخ ، مجالاً واسعاً للتبسط في رواية الوقائع الحربية .

والآن ، لا بد من توجيه الثناء الطيب الى اعضاء المؤتمر الثقافي العربي الاول ، الذين اوصوا بوجوب الابتعاد عن اعتبار الحروب والفتوحات بمثابة المحور الاساسي لدراسة التاريخ . وهي فكرة سامية ، لو عمـــل بها في المدارس والجامعات لوجدنا العالم يعيش في سلام لا نغالي اذا جزمنا اننا نأمل ان تراه الانسانية ، مع الزمن ، سلاماً دائماً ، بمعونة ذوي النيات الحسنة .

تمجيد الحروب

وجولة قصيرة في المناهج المتبعة في ايامنا الحاضرة ، في جميع المدارس ، ابتدائية كانت ام ثانوية ، كافية لتثبت لنا ان كتب التاريخ المتداولة بين ايدي التلاميذ ، تخصّ معظم صفحاتها لتمجيد الحروب . ونرى في كل مكان القواد ، الذين عقدت لهم الوية النصر ، هم وحدهم في مصاف الابطال . ونرى العبقرية العسكرية وحدها ، موضوع التبجيل والتعظيم .

وما دمنا منصرفين الى اتباع هذه المناهج في كل آن ومكان، ظللنا بعيدين عن تحقيق امنيتنا برؤية لواء السلام يخفق فوق رؤوس البشر .

والادلة كثيرة لا يحصى لها عدد ، تلك التي تشير الى تغلغل الميل في النفوس لتمجيد الحروب ، اكتفي بذكر مثال واحد ، شاهدته ، بل حييته بنفسي في شهر اكتوبر الماضي .

وكنت عضواً في لجنة امتحان البكالوريا ، واذا بي كلما وجهت الى احد الطلبة هذا السؤال : ما هو في نظرك العامل الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في تخليد اسم نابليون ؟ كنت اتلقى دائماً وابداً الجواب التـــالي : عبقريته العسكرية ! ويتدفق من افواههم ذكر الوقائع الحربية المتعددة ، التي رافق قائدهم فيها النصر ، تدفق السيل العرم . ويحفظون عن ظهر قلب تواريخ وقوعها على التحقيق ، بدون ادنى خطأ . وكانت واقعة اوسترليتز ، وشمسها المشرقة ، على كل شفة ولسان.

واذا ما طلبت اليهم ذكر عوامل اخرى ، كان فيها نفع للناس ، وقام نابوليون على تنفيذها ، فكان لها الفضل على تخليد اسمه مدى الاجيال ، عادوا الى متاريسهم العسكرية ، يحتمون وراءها دفاعاً عن نظرية كانت تملك عليهم شعورهم.

فحاولت مع ذلك ان اقول لاحدهم : لكنك تعلم يا صديقي ان شمس اوسترليتز كسفت في سماء واترلو ... فأجاب مؤكداً بحماسة ، اجل لكن نابوليون استهدف هناك لحيانة احد قواده ، ولولا ذلك ...

نعم ، ولولا ذلك لمـــا افل نجم سعده !..

انه لأمر يدعو الى الاسف ، اعني أمر تنشئة هذه الشبيبة على هذا النحو في تعلّم التاريخ ، وكان يمكن ان تجد لنفسها بعض العزاء ، لو تيسر لها من يهديها سواء السبيل ، فيميط اللثام عن عظمة نابوليون الحقيقية ، بما له من الايادي البيضاء في الحقول الادارية والاصلاح الداخلي الباقي الى يومنا هذا ، والاصلاح المالي الذي انقذ بلاده من الفقر والجوع ، واصلاح مناهج التعليم وتأسيس المدارس التي بعثت بلاده بعثاً جديداً والتي ما تزال باقية على الدهر ، بل ونشر القانون المدني المعروف باسمه ، والقوانين عند الامم ، عنوان حضارتها ، ومقياس رقيّها . وغير ذلك من الاعمال التي كان فيها نفع للناس كثير .

واية فائدة من التعليق على هذا المثال ؟

ولا رغبة لي في تحويل هذا البحث الموجز الى دراسة تفصيلية ، انتم بغنى عنها . ولم آتِ على ذكر هذا المثال الا لمغزاه العميق ، وهو يثبت لنا ان دراسة التاريخ كما يتلقنها اهل الشرق ، واهل الغرب على السواء ، ولا سيما ان كتب التاريخ الموضوعة بين ايدي تلامذتنا هي من بضاعة الغرب اقول ان كتب التاريخ في مناهجها الحاضرة ما تزال تبالغ كثيراً في ذكر وقائع الحروب .

فتمجد الأمم الغربية ، العبقرية الحربية تمجيـــداً كله مغالاة ، وتحض على تقديس القوة ، وعبادة الفوز . فتتضاءل بذلك القيم الحقيقية لمعاني الفضيلة والخير والجمال ، ويساء الى مبادئ العدل والحق ...

واي دليل على ذلك ابلغ مما نسمعه ونراه يجري في الناحية الثانية من المتوسط ، في قصر شايّو ، حيث يعبث الانسان بحقوق اخيه الانسان فيأتي هذا العبث تهديداً صارخاً لسلامة البشر ، وينذر بشر مستطير ، لا يبقي ولا يذر ؟

ومع هذا ، يجب ان لا تهولنا مواجهة هذا الشرّ ، بل لننظر اليه وجهاً لوجه . ويقضي علينا الواجب بالتصريح ، بأن السبيل الذي فرضته وفود المؤتمر الثقافي العالمي الحاضر على انفسها ، هو سبيل سلوكـــه وعر ، مليء بالاشواك وهذا مما يحدو باعضاء المؤتمر الى تفهم واجباتهم ، وحمل رسالتهم القدسية بكل ما اوتوا من شجاعة وحزم واقدام ، لمواجهة عقلية ساقتها التقاليد الى تقديس القوى المادية الجامحة ، فافسد عليها توازنها . واصبحت اسمى المبادئ جثثاً هامدة بين ايدي هؤلاء الذين اخذوا على عاتقهم امر احيائها .

الحق والقوة

وشاءت عقلية بعض الامم الكبرى ، ان تفتخر بأنها تسخّر القوة لخدمة الحق ، فلا تستعملها الا للدفاع عن كيانه . ونرى انفسنا اولى النـــاس بإعلان خيبتنا ، حتى اصبحنا نتساءل ، لا سيما هؤلاء الذين قصدوا الى جامعات الغرب لنهل العلم من ينابيعه الصافية ، عما اذا كانت المبادئ السامية التي تعرفنا اليها هناك ، لا يمكنها ان تكون موضوعاً للتصدير من قارة الى قارة . وتحقق لدينا ان ذوي النيات الحسنة

من الناس ، ليسوا قادرين دائماً على العمل بالمبادئ التي ترفع شرف الانسانية عالياً .

وشاءت عقلية امم اخرى ان تخضع الحق للقوة . فسخرت القوة المنيعة لخدمة المنفعة القومية . وقد يكون لها عذرها . وكثيراً ما ينتحل الغاصبون شتى الاعذار لتبرير افتراءاتهم . هل ايقظت القوة الغاشمة ، في فجر القرن الماضي ، غريزة الشرّ في نفوسهم ، فجعلوا من القوة إلهاً وعبدوه ؟

وهنالك امم جعلت من استعمال القوة واجباً اخلاقياً . فخلطت بين الاخلاق السامية والقوة المنيعة ، ومن يستطيع ان يوجه اليها بعض اللوم ، بل ماذا يهمها لوم الآخرين ؟ وهي ترى ملاذاً في مناعتها ، وفلسفة رجالها ، واعتقادها الراسخ بسمو رسالتها . الم يقل احد هؤلاء الفلاسفة في القرن الماضي : القوة ، اذا حسن فهمها ، هي قياس كل صلاح ... والامور مرهونة بنتائجها ، فان نجحت ، هي من الامور الحسنة . وراح احد شعرائهم ينشد : الضعف والبؤس توأمان ، وفرسا رهان ...

ووجدت امم بكاملها دروساً بليغة في تلك المذاهب المختلفة ، وما نحن جميعاً الا تلامذتهم الامناء . فاقتدينا بطرق

تفكيرهم ، ونظرنا الى معنى القوة نظراتهم اليها .

وهذا ما حدا بي الى القول ، قبل ربع قرن ، « يوم ذر قرن الانتدابات » في آفاق المشرق عن علاقة الحق بالقوة أثبته فيما يلي (وهو لم يرد في النص الفرنسي) :

فتشت عن الحق بين هذه القضايا التي يختلف فلسفياً بعضها عن بعض ، فوجدته هباء قد تلاشى جماله . فاسحاً مجالاً للقوة القاهرة . وفتشت عن معنى الحكمة العربية : الحق يعلو ولا يعلى عليه ، فوجدتها ، في افواه رجال القرن العشرين سفسطة مجانين .

ثم سألت التاريخ علّه يحدثني عما فعلت الامم بالحق ، فلم ارَ الاّ سيوفاً ورماحاً ودروعاً لامعة ، ولم اسمع سوى دوي المدافع وانفجار القنابل ، حجبت انوارها واخرس هديرها صوت الحق ونوره . وأما ذاك النور المحجوب والصوت الخافت فلم يزل ولن يزال سلاح الامم القاصرة .

وتيقنت بأن الامم القويـــة على اختلاف نظرياتها ، قد استبدلت كلمة الحق بكلمة المنفعة فمشت المنفعة في مقدمة اعمالها . وسارت القوة وراءها ، وفي يمينها سيف مسلول . وكلما

التقت منفعتان وجهاً لوجه، اشتبك السيفان . وكانت حرب هائلة ، ذهبت بالنفوس والاموال . وظل النضال حتى يكسر احد السيفين . فتخضع المنفعة المغلوبة للمنفعة الغالبة ، وتعيش القوية . وما دامت وحدها ظل الكون ممتعاً بالراحة والسلام . وامة امينة على مصالحها ، وامم مسخرة لهذه . فلم ينهض حق بلا قوة بل خضع الحق دائماً للقوة .

ورأينا ان سلطان الحق جميل . في بطون الكتب، وعلى سدد المنابر . لكن الحق جثة هامدة ، اذا لم تنفخ القوة فيه من روحها الحيّة ، لم ينبض في جسمه عرق . ولا يخطو الى الامام خطوة واحدة .

كانت حياة الافراد بنسبة قوتهم ،

وعاشت الجماعات ما عاش مظهر من مظاهر قوتها ،

وبقاء الاحزاب تدير شؤون الممالك هو رهن قوتها ،

وسلطان الامم في الكون كانت له القوة اول سند .

بل ان تاريخ الافكار ، والعقائد والديانات والمدنيات ليس الا « حكاية » القوة .

كن قوياً ولا تتعب نفسك بالتفتيش عن الحق ، لأنه ان

لم يضع بعد ، فقد اصبح شفافاً يتبدد رسمه عند اول صدمة من صدمات القوة الغاشمة . وهو في الحقيقة سلاح الافراد والجماعات القاصرة .

اذا كنت تريد ان تثبت « حقك » المشروع بالحياة ، فما انصفك ان تبدأ أولاً باثبات « قدرتك » على الحياة .

حقوق الافراد وحقوق الامم

وقيل لنا الكثير عن تطور العقائد والافكار التي تقود الامم . وكأن ذهنية البشر يأخذها الذعر مما تقترف ايديها على اثر الحروب الجامحة التي تجعل من شباب الانسانية ، وقوداً لذاك الجحيم . فتجنح الى السلام وتبحث بعد تلك المجازر ، عن السبيل القويم الذي يجدر بها سلوكه تخلصاً من ويلاتها . وجاءت عصبة الامم على اثر الحرب العالمية الاولى ، كما جاء « الاتفاق المقدس » على اثر انتهاء الحروب التي اثارتها في اوروبا وفي ناحية من اسيا وافريقيا مطامع نابوليون ، ونادت عصبة الامم بحقوق الامم ، كما سبق لرجال الثورة الفرنسية ان نادوا بحقوق الانسان ، ولا نزال حتى يومنا هذا نفتش عن حقوق الفرد وحقوق الجماعة .

وسل عما فعل ماترنيخ والاتفاق المقدس بحقوق الانسان اثر تلك الدماء التي اهرقت في سبيل تحرير الانسان .

واذا سمعنا رجال الثورة الفرنسية ينادون بحقوق الانسان ، فما ذلك الا لأن الافراد كانوا عبيداً ارقاء لا حقوق لهم ، سيرتهم مشيئة الملوك الطاغية ، الذين ادعوا انهم استمدوا سلطانهم من قوة الله . فجعلوا انفسهم ظله على الارض . وكم تعددت تلك الظلال وكم اختلفت في طولها وعرضها . وسير الملوك الزعماء الاقطاعيون اصحاب الامتيازات الفاجرة ، فتحكم هؤلاء بارواح الناس واموالهم واعراضهم . وظل الكون يتيه في مهمه من الجهل والسفاهة والعبودية ، حتى اشرق امل من صرير الاقلام ، كان صدى انـــين ما في الصدور . فكسرت الاغلال وهدمت العروش ، وتساقطت الرؤوس تحت المقاصل ، ولبّى الانسان المظلوم ذاك النداء فكان ما كان من الضحايا والاحزان . واضطرب الكون عشرات السنين في بحر من الدموع والدماء ، ثم جاء يوم اصبح فيه الفرد يوهم نفسه انه حرّ بين الاحرار .

واذا نادى الرئيس ويلسن بحقوق الامم ، فما ذلك الا لأن الشعوب كانت مستعبدة ، يسوق الاقوياء الضعفاء

لخدمة منافعهم ، كما يسوق الجزار مواشيه للذبح . وتطارد الجماعات القوية الجماعات الضعيفة ، كما تطارد الذئاب النعاج . فتارة باسم الحرية ، وطوراً باسم حقوق الانسان ، ومرّة باسم الفتح في عهد الغيت فيه الفتوحات ، ومرّات باسم الحماية والوصاية . وجميعها اساليب ونماذج للاستعباد... فسمعت الأمم ذاك النداء الحيّ ، وبلغ صداه اعماق القلوب المتألمة وفتح له البعض الآخر عينين مذعورتين كأنه لم يفقه ما يسمع .

لقد قيل عن الثورة التي اعلنت حقوق الانسان ، انها استبدلت الحروب التي كان يشهرها الملوك ، بعضهم على بعض ، بحروب غيرها تنشب بين الملوك ورعاياهم . ومن نظر الى الآثام التي اقترفها عهد الاستبداد والرجعية في زمن ماترنيخ ، حق له ان يتساءل عما فعل الانسان بحقوق اخيه الانسان . ولذلك كان النصف الاول من القرن التاسع عشر ، عراكاً هائلاً بين الشعوب اليقظة والملوك الطغاة . بل كان ذاك العهد الذي عقب الثورة ، اشد العهود نكراناً وكفراً بحقوق الانسان .

فهل نعجب بعد ذلك ، اذا شاهدنا الحرب العالميـــة

(الاولى) ، تعلن حقوق الامم ، فتطالب هذه بتعيين مصيرها بنفسها . ثم ترى بعد شقائها الطويل ، وضحاياها العزيزة ، ان العهد الجديد لم يحمل لها استقلالاً ولا حرية ، بل استبدل سلطاناً بسلطان ؟..

وختمنا على هذا الفصل يومئذ اي في بدء عام ١٩٢٥ ، بهذه الكلمة :

فاذا كان يلزم للامم ، حتى تصل الى حقوقها المشروعة ، وتنال حريتها المنشودة ، العناء الذي صادفه الافراد لنيل حقوقهم ، فلا شك ان امامنا ابحر دموع ودماء اخر ، ما لو فكر الناس في هولها ، لمات نصفهم جزعاً(١) .

الافكار والعقائد

وجاءت الحرب الكونية الثانية التي اثارتها المطامع والتي لم تنته بعد ، مصداقاً لما كنا نقول . فكان للقوة ، على كل حال ، نصيبها الاوفر في فوز ما اسموه عناصر الخير على عناصر الشرّ ، وتلك الافكار التي سيرت الشعوب حتى

(١) « الانتداب وروح السياسة الانكليزية » لواضع هذا الاقتراح — ١٩٢٥

الآن ، والتي استندت الى تقديس القوة وتمجيد الحروب ، تلك الافكار سواء حسن فهمها ام اسيء اليه نشـأت وترعرعت في نفوس البشر ، وتطورت الى نوع من العبادة ، فرفعوا الفاتحين والقواد الذين عقدت لهم رايات النصر ، الى مصاف الاولياء والقديسين . حتى اننا شاهدنا كيف رفعت الشبيبة الالمانية ، هتلر الى مصاف الآلهة .

واشتركت عوامل كثيرة في سبيل بث هذه الافكار ، وسخرت جميع اساليب الدعاية لنشرها . فكان للاجتماعات الشعبية ، والمحاضرات ، والروايات ، والسينما ، والاذاعات اللاسلكية والصحف والمجلات حتى الالعاب التي يصنعونها لتسلية الاطفال ، والاغاني التي ينشدونها في قوارع الطرق على افراد الشعب ، كان لكل هذه العوامل نصيب وافر لتهيئة الاذهان .

اما الذي يهمنا هنا من هذه العوامل ، فهو تلقي شتى العلوم في المدرسة . واهم هذه العلوم الذي يتسع لسرد وقائع الحروب ، ورواية الفتوحات ، وتتبع سير الافكار والعقائد ، هو التاريخ . فدراسة التاريخ تطلع الانسان على حركة الافكار والعقائد خلال الازمنة الغابرة ، وعلى نموها ودرجة التصاقها بالاذهان وتغلغلها في اعماق نفوس البشر .

وبالرغم من سلطان العقائد ، لا فرق فيما اذا كانت دينية ام اجتماعية ، ام سياسية ، فلم يتلقاها البشر الاّ بقدر استعدادهم لقبولها . ولم يكن تفهمها على السواء من جميع الاقوام . حتى ان العقيدة الدينية الواحدة لم يكن اثرها في نفوس افراد الشعب المؤمنين بها ، على قياس واحد .

فالمسيحية ليست واحدة في البلاد المقدسة مكان مولدها ، وفي روما مكان هجرتها . وفي لندن وبرلين وموسكو... وهي لا تختلف الا قليلاً عن الوثنية ، عند الاقوام القاطنين في طومبكتو... كما ان الاسلام يختلف تفهم معانيه الحقيقية عند مختلف الاقوام الذين اعتنقوه ، وهذا التفهم هو في جزيرة العرب غيره في ايران وتركيا ودلهي ، حتى ان صفـــاء الوحدانية تشوبه عناصر وثنية شتى ، عند الاقوام الذين ما زالوا على جاهليتهم الاولى .

فالوراثة المتأصلة في نفوس الاقوام ، والتقاليد الراسخة مع الاجيال ، وشرائط الحياة المادية التي يخضعون لها ، ومناهج التربية والتعليم التي تسيطر على عقولهم ، كل هذا يشترك في تعديل اقدس العقائد . واذا كانت العقيدة الدينية واحدة في جوهرها ، فلا ريب بأن المؤمنين بها يتلقونها كل

بحسب استعداداته الروحية والعقلية . وكثيراً ما شاهدنا ظهور الخلافات ، والمساجلات ، والمشاحنات بل وقل الحروب الدامية في سبيل تطبيق مبادئ العقيدة الواحدة ، بناء على اختلاف ذهنية الاقوام واختلاف تفهمهم لها . وما الحروب الدينية الطاحنة التي اغرقت اهل اوربا بالدماء مئات السنين ، الا شاهد بليغ على ما نقول ...

ولا تختلف بعرفنا العقائد الاجتماعية والسياسية من ناحية تفهم مختلف الشعوب لها ، عن هذا المبدأ الذي قدمنا .

تشييد دعائم السلام

وهذه العقائد الكبرى دينية كانت ام اجتماعية ما فتأت تسيّر العالم ، بالرغم من اختلاف تفهم الامم لها .

— اجل ولكن الى اين ؟

— هل تسير به الى الكارثة التي تهيئها دراسة الذرّة ؟

— ام الى السعادة الحق التي تتعطش اليها الانسانية المتألمة ؟

انما الجواب على هذا يتعلق مباشرة بالروح الجديد، الذي

يلهم هؤلاء الذين حسنت نياتهم، واخذوا على عاتقهم رسالة تشييد دعائم الدفاع عن السلام في اذهان البشر. بل ويعود ذلك الى المناهج التي يذهب الناس الى اتخاذها تنفيذاً لهذه الرسالة.

ولقد قيل عن الوقائع انها تنطق بنفسها عن نفسها وكثيرها احياناً غني عن اي تعليق. لكن مما لا مراء فيه هو ان كيفية تقديم هذه الوقائع، وسبك الصيغة التي تعني بروايتها له اثره البليغ في النفوس. وسواء كان ذلك في دنيا الادب ام في عالم السياسة. وكيفية رواية الوقائع السياسية، مثل رواية النوادر الادبية، تعاون كثيراً على تثقيف الاذهان. فالتعليم والقدوة هما الدعامتان الاساسيتان اللتان ترتكز عليهما التربية.

وعلى هذا، يحق لنا الجزم بأن المصنع الاول لتهيئة الحروب، هو المدرسة. فالمعلمون والاساتذة، بناء على الظروف التي اشتركت في تنشئتهم، كان لهم القسط الاوفر في تحضير الحروب. ففي منتصف القرن الاخير، استعمل بسمارك هذا المصنع لتحطيم عظمة الامبراطورية النمسوية. كما انه هيأ الحرب في ذات المصنع، لدكّ صرح الامبراطورية الفرنسوية الثانية. فاعاد الى نابليون الثالث نفس العملة التي

كان قد نقدها نابوليون الاول الى بروسيا وزميلاتها الالمانيات . فوجدت الجمهورية الفرنسية الثالثة نفسها مهيضة الجناح منذ ولادتها . فاقتطعت منها الامبراطورية الالمانية الجديدة ولايتي الالزاس واللورين . واقصت فرنسا عن شاطئ الرين ، وقضت على امنيتها بتحقيق مبدأ الحدود الطبيعية الذي طالما تغنى به رجال الثورة .

وتنادى النواب لأخذ الثأر صبيحة الكارثة في قاعة البرلمان . وشوهدت غيوم حرب جديدة تتلبد في سماء البلاد ، ولما تجف بعد دماء الضحايا . فصاح بهم احد رجال السياسة يومئذ قائلاً : حذار من ان يلفظ احدكم كلمة الثأر . هذه قضية يجب ان نفكر بها دائماً وابداً ، لا ان تكون موضوع ابحاثنا العلنية .

ولم يكتف الفرنسيون بالتفكير المجرد ، بل اعدوا للثأر ما استطاعوا من قوة . وراحت المدرسة ، ذلك المصنع الاول للحرب ، تعمل بلا كلل في تحضير الاذهان والاجسام ، لحرب لا تبقي ولا تذر . وقدمت لجحيم ١٩١٤ شباناً متقدين حماسة ومستعدين للأخذ بالثأر .

ولم يكن هتلر بحاجة الى الاقتداء بأحد . فكان نسيج وحده ، وفريد دهره . وقد مهّد له الفلاسفة الالمان السبيل وجعلوا الامة الالمانية طوع بنانه . فلم يكن ليستسيغ الحروب الصغيرة . ولم يكن ليكترث لثأر اذا ما ادركه ، نام بعده ، بل كان بينه وبين دول الدنيا طوائل واوتار . فلن تنام له عين الا بعد ان يخضع لمشيئته العالم بأسره . فوضع الشباب النازي في يمين سيده سيف الله ، وجعل نفسه في رتبة شعب الله المختار ، وخلق ربّه على صورة منه .

وشطر العالم الى شطرين . واشتد الخلاف الى حد لم يعد بدّ من امتشاق الحسام . هكذا شاءت عقلية الانسان الذي نشأ على تقديس القوة وعبادة الفوز . وتدفقت جحافل المحاربين الهدامة من والى قارات الدنيا. تحمل الموت الزؤام الى المدن والدور الهانئة . فتحصد المحاربين وغير المحاربين . وتفتك بالابرياء الذين لم يكن لهم فيها رأي ولا رغبة . وقد شهدنا تلك الحرب الشاملة التي لم يستطع اصحاب النيات الحسنة الحؤول دون وقوعهـــا ، والتي لا تزال مستعرة

نيرانها حتى يومنا .

وهناك في الناحية ، الغربية من البحر المتوسط ، يجتمع ممثلو الامم للاتفاق على صيغة يبنى على اساسها السلم . واصوات المدافع ما فتأت تدوي في ناحية ما في اوربا ، والحرب جاثمة هنا على الابواب ، وهناك في الشرق الاقصى ، تندلع نيرانها ويتصاعد لهيبها الى كبد السماء .

ومع ذلك اننا على مثل اليقين انه لن يجد القنوط سبيلاً الى نفوسكم . فقد هجرتم دياركم وغادرتم عائلاتكم وابناءكم ، لعقد الاجتماعات في هذه البقعة من الشرق ، وطن المحبة والسلام ، لتمهدوا السبيل لرجال السياسة الذين يعقدون مؤتمر آخر في ناحية ثانية من الغرب ، وتعاونونهم لايجاد صيغة موفقة للسلم . فاتجهت عيون الامم جميعاً اليكم بانتظار نتيجة الجهود التي تبذلونها للوصول الى خطة عمل موحدة لتشييد دعائم الدفاع عن السلام في ذهنية البشر .

وكأننا نحن ، رجال هذا الجيل ، كتب لنا الاّ نفتح عيوننا على النور ، الاّ لرؤية الحروب ومظالمها وآلامها في وقت واحد . وقد تكسرت النصال على النصال . فلنعمل قبل انهاء هذا المؤتمر على ايجاد علاج لتلك المصائب التي

شاءت فلسفة مجرمة، استمدت قواها من عناصر الشرّ ، ان تخضعنا اليها . وانما توفيقنا بالعثور على هذا العلاج الواقي ، يخفف عن عاتق ابنائنا وعن كاهل الانسانية المقبلة آلاماً لا طائل تحتها .

رسالة الدولة التهذيبية

وهذه المجازر التي تقوم على اثارتها بعض الامم المجرمة بحكم العادة ، ولا اقول المجرمة بحكم الغريزة حتى ادع مجالاً لفعل التربية الاصلاحي ، فتشعل نيرانها ، وتجعـل خيرة شباب الانسانية وقوداً لها، عن سابق تصور وتصميم، لاتباع شهوة التوسع والسيطرة واسترقاق الشعوب ، ان هذه المجازر ليست الا وباء فتاكاً يجب مكافحته .

وشاءت عقلية المنتصرين في الحرب العالمية التي قلت عنها انها لم تنته بعد ، ان تحصر التبعة بقادة هذه الامم التي نعتناها بالمجرمة، والتي باعت نفسها من زبانية الشر، فساقتهم الى محكمة عليا قضت عليهم بالموت او بالسجن . ولو شئنا ان نكون من المنصفين ، لعمت التبعة كثيرين غيرهم من قادة باقي الامم . انما الانسانية جمعاء تشاطر هؤلاء المجرمين في

تبعاتهم لاقترافهم تلك الآثام التي ندعوها بالحروب . لأن قادة الفكر الانساني، اينما وجدوا ، يعتبرهم الوجدان الانساني مسؤولين لعدم حؤولهم دون وقوع الواقعة ، سواء كان ذلك لجهلهم المطبق ، ام لعدم رغبتهم في تدارك وقوعها .

وانصافنا يحملنا ايضاً على عدم اعتبار المجرمين العاديين مسؤولين وحدهم عن اجرامهم . فتلقي الحكومة القبض عليهم . ويحكم عليهم بالاعدام او بالسجن . فاكتفت الدولة حتى يومنا هذا بالقيام بوظيفة الشرطي او الدركي الذي يتوجب عليه تعقيب الاجرام ، مهملة رسالتها التهذيبية . وهكذا شاء الانصاف ، ان يلحق بها حصة وفيرة من تلك التبعات، لعدم سلوكها مسلكاً تتدارك به وقوع الاجرام .

ولن نبخس الدولة حقها . فهي تستحق الثناء الطيب لاتقانها ملاحقة المجرمين العاديين وكف اذاهم عن الجماعة . وربما سعت احياناً باعادة تهذيبهم بواسطة الاصلاحيات ، كل هذا لا شك ، مفيد ولولاه لأكل الناس بعضهم بعضاً . لكنه ما زال بعيداً عن الغاية المثلى التي يتوجب على الدولة اتباعها ، الا وهي تدارك وقوع الاجرام ، وفي ذلك كل الخير . وما السعي وراء تدارك وقوع الاجرام الا من صميم

الرسالة المعلقة في عنق الجماعة لحماية الفرد ، وتأمين راحته وصون سلامته .

ولن تكون مسؤولية الدول في الحروب الجامحة ، تلك الاجرام الاجتماعية ، مختلفة في روحها عن مسؤولية المجرم العادي الذي يمزق احشاء خصمه للقضاء عليه ، وما دمنا نذكر الرسالة التهذيبية التي تتوجب على الجماعة نحو الفرد ، اي على الحكومة نحو مواطنيها ، لماذا لا نذكرها في بحثنا عن كل جماعة نحو كل فرد ، بل وعن مجموعة الامم نحو رعاياها جميعاً ؟

تعلمنا المدرسة مبادئ شتى العلوم والفنون والآداب . فتستولي هذه المعارف على مشاعرنا وتفكيرنا ، وتقود اعمالنا وخطواتنا نحو ما فيه الخير لنا ، وتسيّر خطوات البعض الى ما فيه الشر لهم ولغيرهم على السواء . فمن واجبات الدولة الاساسية تنظيم مناهج التعليم هذه ، فالديموقراطية ما زالت في بداية الطريق . لقد حان لها ممارسة رسالتها ، وما عليها الا ان تحزم امرها ، وتقدم عليها بما اوتيت من ايمان وشجاعة .

وواجبها الاساسي هو السهر على سعـــادة الجميع ،

فمكافحة الاجرام يجب الا تنحصر في دوائر الشرطة ودور القضاء ، بل عليها ان تتولى قتل جرثومة الشرّ في مصنع الخير . والاجرام ، ذاك الوباء الاجتماعي يجب ان يكافح في المدرسة . وطبيب هذا الوباء، ليس الشرطي ولا القاضي ، بل المعلم ، هو الاستاذ .

فعلى الديموقراطية اذاً مراقبة مناهج التعليم وتوجيهها نحو سبيل الخير ، فتكافح بذلك عناصر الشر ، وتتدارك وقوع الاجرام ، بالتهذيب .

شاءت بعض الدول ان تراقب سياسة الدولة الاقتصادية في سبيل الترفيه عن رعاياهـــا ، فتكافح الفقر والمرض والجوع ، وتضع قيوداً لتأمين المواد الغذائية والصحيّة والالبسة للجميع . وتطارد المحتكرين والمجوعين الذين يتهافتون على اختطاف اللقمة من افواه الضعفاء ، وتصطاد الوحوش الكواسر الذين ينقضون على البؤساء اذا ما صرعهم بؤسهم في موكب الانسانية المتألمة . وتتجاوز احياناً هذه القوانين حدود الدولة الواحدة . فتعقد الدول الاتفاقات والمعاهدات لفرض رقابة دولية على السياسة الاقتصادية العالمية. ووضعت نظام الكوتا . . . فلماذا لا توجه نشاطها ايضاً نحو تأمين

السعادة للجميع ، السعادة الحق ، التي يتحراها كل مواطن في اقطار الدنيا . والتي لن يجدها الا في الطمأنينة من قلق الحاضر ، له ولاولاده اليوم ، والطمأنينة من اخطار المستقبل ، لأحفاده غداً ؟ . .

ولن تكون هذه الطمأنينة الا بتهذيب النفوس ، وتشييد دعائم الدفاع عن السلم في ذهنية الانسان نفسه ، ولا يتم ذلك بعرفنا الا بوضع رقابة على مناهج التعليم . لقـــد اهملت الدولة ، بل اهمل الدول جميعاً حتى يومنا ، هذا الشرط الاساسي لسعادة البشر . فمثلما عنت تلك الدول بتأمين قسط من السعادة المادية بفرض الرقـــابة على تنظيم الشؤون الاقتصادية ، دفعاً لآفات الجوع والمرض ، يمكنها ان توجه بعض عنايتها لتأمين السعادة بمعاينتها الشاملة الادبية والروحية ، وذلك بفرض رقابة على الكتب المدرسية وبصورة خاصة على تدريس التاريخ ، لأنه من اهم المقومات للتربية القومية والتربية الانسانية معاً .

ولا خير في هذه المقومات جميعاً الا بقدر ما يمكنها ان تحمل الانسان الى ذكرى انسانيته .

رقابة الكتب المدرسية

والآن ، وقد عرفنا كنه الداء ، لم تعد محاولة العثور على الدواء من الامور المستحيلة .

كانت الحكومة اللبنانية ، قبل عشرين عاماً قد سنت تنظيماً موفقاً بتأليف لجنة عليا للتدقيق في الكتب المدرسية . وكانت تضم هذه اللجنة بين اعضائها الاساتذة والشعراء والمؤلفين وبعض الاخصّائيين في شتى فروع التعليم . وكانت مهمتها منحصرة في استعراض الكتب التي يرغب مؤلفوها في اعتبارها كتباً مقبولة من وزارة التربية ، للتدريس في معاهدها الرسمية .

وكانت اللجنة قبل اقرار قبول تدريس هذه الكتب ، تدقق فيها وتنصح حيناً بحذف ما تراه مثيراً لشعور التلاميذ ، ولا سيما ان هؤلاء التلاميذ ينتمون الى مختلف المذاهب الدينية . وكانت ترفض احياناً الكتاب برمته ، اذا وجدت فيه فصلاً يفتقر الى شيء من التسامح .

ولم يكن هذا التدبير ليتنافى مع الحرية التامة التي يجب ان يتمتع بها التعليم ، وكان يقتصر على اسداء بعض الارشاد

للمؤلفين، واسترعاء انتباههم الى الابتعاد عن كل ما من شأنه اثارة شعور الناشئين .

وتستند هذه الارشادات الى مبدأين اساسيين :

الاول وطني وهو يقضي بالاشارة لتعديل او حذف اية عبارة يشتم منها الاساءة الى الكيان اللبناني .

والثاني طائفي وهو يقضي بحذف اي تعبير وصرف النظر عن قبول اي كتاب يمس الشعور الديني لاية طائفة من الطوائف التي يتألف منها سكان لبنان .

وكان لي الشرف ان انتسب الى هذه اللجنة . فاشتركت في ابحاثها العامة ما دمت موظفاً في بيروت ، ثم حينما انتقلت وظيفتي الى الملحقات كان يرسل اليّ بعض كتب الجغرافيا والتاريخ للنظر فيها قبل تقرير دراستها . فكنت وزملائي نتعاون على اقصاء كل ما لا يتفق والكرامة الوطنية ، او يمس الآداب الدينية . وذلك رغبة منا في انماء الشعور القومي في نفوس الاحداث ، وتعويد الناشئين على احترام العقائد مهما اختلفت ، فينشأون على حب وطنهم ، وحب المواطنين اخوانهم ، واحترام الناس جميعاً على اختلاف مذاهبهم واوطانهم.

واستطاعت هذه اللجنة ان تقوم ، بعمل جليل ومفيد

معاً ، وتداركت وقوع كثير من الحوادث التي قد يكون لحدوثها ، عواقب غير مستحبة . ويرجع الفضل بذلك الى فكرة التجرد التي وضعها كل منهم نصب عينيه ، وعاطفة التسامح التي كانت تموج في صدورهم جميعاً .

وكان لهذا التدبير الموفق نتائج عملية ، لم تلبث مع الزمن ان ظهرت للعيان . فوضعت مؤسسات التعليم الخاص ، وما اكثرها في لبنان ، ثقتها التامة بمقررات هذه اللجنة ، وفي خلال بضع سنين اصبحت الكتب المقبولة منها ، في ايدي جميع تلامذة المدارس العامة والخاصة على حد سواء . وذلك بقطع النظر عن اختلاف الطوائف التي كانت تنتسب اليها تلك المدارس ، او المذاهب التي كان يعتنقها المؤلفون .

منهاج للعمل جديد

وعليه لي الشرف بأن اتقدم بالاقتراح التالي :

تأليف لجنة عليا دولية لرقابة كتب التعليم بوجه عام ، وكتب التاريخ بوجه خاص . فتضع هذه اللجنة المبادئ العامة التي يتوجب على جميع مؤلفي الكتب المدرسية اتباعها ،

ولا سيما كتب التاريخ والجغرافيا والقراءة، حتى المسائل العملية في كتب الحساب والرياضيات .

وتستند هذه المبادئ الى فكرة تشييد دعائم الدفاع عن السلام في عقلية الناشئين . وهي الغاية التي يتوخاها المؤتمر العالمي للتربية والعلوم والثقافة . وتحدد من قبل اعضاء اللجنة العليا بميثاق ، يوضح الحق وينير الشبهات . حتى اذا وضع هذا الميثاق بين ايدي مختلف الامم المنتسبة الى هذه المنظمة، يطبقون احكامه وينصـــدع المؤلفون طوعاً الى احترام نصوصه .

واخيراً تعمد الدول الى تأليف لجان وطنية، تعمل بجانب وزارة التربية، في كل عاصمة من الحكومات المنضمة الى تلك المؤسسة الدولية ، وعلى الصورة المتبعة في الحكومة اللبنانية . ويكون هدفها السهر على تنفيذ المبادئ المنصوص عليها في الميثاق الموضوع من قبل اللجنة الدولية العليا .

ولما كان لدراسة التاريخ اهمية عظمى، يتوجب ان يعطى انتباهاً خاصاً يتناسب مع اهميتها ، وقدرها ، في تثقيف العقول وصقل الاذهان ، وتستطيع حينئذ اللجان الوطنية ان تحمل الى اللجنة الدولية العليا نتيجة اختباراتها ، فتقدمها

بصفة اقتراحات تدرس من قبل جميع الدول المنضمة الى المؤسسة .

ويمكن تلخيص هذا الاقتراح بجمل ثلاث :

اولاً : انشاء لجنة دولية عليا .

ثانياً : وضع ميثاق واضح .

ثالثاً : تطبيق هذا الميثاق بواسطة لجان اهلية تعين في كل دولة .

هذه هي طريقة العمل التي اقترح على حضراتكم اقرار دراستها وتطبيقها .

الى الذين حسنت نياتهم

واخيراً كلنا نعلم ان النصوص القانونية ، والمبادئ التي يستند اليها كل ميثاق ؛ اذا صيغت بافصح لسان ، وسكبت باجلى بيان ، تظل حبراً على ورق ، اذا لم يقم على تطبيقها رجال رائدهم الاصلاح ، وغايتهم حسم الداء ، بما عرف عنهم من حسن النية والاخلاص في العمل . فالى الذين حسنت نياتهم اوجه هذا النداء ، واني على يقين بان الرقابة المطلوب

وضعها في هذا البيان على اصول دراسة التاريخ، لا بدّ ان يجني الانسان ثمراتها الطيبة مع الزمن .

ولم يعد من شك في ان تطور عقلية الانسان كان له اثر بليغ في سلوكه . وترانا اليوم لم نعد نسمع بالحروب الدينية، تلك المجازر القديمة التي عمّ بلاؤها اوروبا مئات السنين ، وتلك حسنة من حسنات الرسالة التهذيبية ، فكان التسامح اشهى هذه الثمرات التي حملها الينا تطور عقلية الانسان . هل للانسانية ان تستيقظ يوماً لترى الحروب السياسية ايضاً قد اصبحت في خبر كان ؟ . .

وكأني ارى منذ الآن، هؤلاء الديبلوماسيين الذين سنعمد على تنشئتهم في المدرسة الجديدة ، مجتمعين لبحث شؤون العالم الكبرى ، وجادين في بحوثهم بلهجة مشبعة بالمودة والاخاء . وسيأتي يوم تتبدد فيه امام ناظريهم، اشباح الحروب وويلاتها . فيلجأون الى حل مشاكلهم بروح جديرة بالانسان وحده ان يتخلّق بها .

اما نحن، فلسنا جميعاً الا كما شاءت التقاليد والعادات ان نكون . فالوراثة والتربية تبقيـــان دائماً وابداً على اساس

تكوين طبعنا . اما المسؤولون عن عيوبنا ، فلا شك انهم قضوا نحبهم من زمن غير قصير . هل بوسعنا مقاضاتهم ، او اصدار اي حكم بحقهم ؟ — وما الفائدة من ذلك ؟

وما علينا الا ان نعمل على تسديد خطواتنا ، والقيام بواجباتنا — نحو الناشئين الذين سيؤلفون جيل المستقبل — سالكين بذلك النهج القويم الذي يجعلنا بعيدين عن ان نستحق سخطهم او نستهدف للعناتهم .

٧

بيروت في ١٤ تشرين اول ١٩٤٨

حضرة المدير العام

طالعت بمزيد الاهتمام البحث الذي ارسلتموه الي عن الاصلاحات المرغوب ادخالها على تعليم التاريخ ولا ريب في ان بحثكم مطابق لروح الاونسكو واني لسعيد ان ازف اليكم البشرى باننا قد اتخذنا قراراً بهذا الصدد أدخل في برنامج ١٩٤٩ – وسيكون موجباً لارتياحكم .

قد ذكر في الفصل العائد للتربية انه عهد الى المدير العام تخصيص اعداد دراستين للجغرافيـــة ولتنقيح الكتب المدرسية ولا سيما الكتب التاريخية ورائدنا تسهيل التفاهم بين الدول وازالة كل ما من شأنه ان يثير حالة التوتر فيما بينها .

اني اؤكد لكم ان لجنتنا الوطنية ستتّبع عن كثب هذه الاعمال وستقوم بكل ما لديها من وسائل لتيسّر عملياً نمو هاتين الدراستين .

انه لمن دواعي الغبطة ان ارى احد مواطني متفهماً تفهماً عميقاً لمبادي الاونسكو السامية وهذا مما يدعوني الى الوثوق باننا سنجني من مؤتمر بيروت الثمار اليانعة .

تفضلوا يا حضرة المدير العام بقبول خالص شكري واسمى عواطفي .

وزير الخارجية
رئيس المؤتمر العام الثالث للاونسكو

الامضاء : حميد فرنجية

حضرة السيد راشد طباره
المدير العام لوزارة البريد والبرق
البلدة

طبع من هذا الكتاب الف نسخة ، منهـا ثمانمئة نسخة على ورق دي ماره ابيض ممتاز تؤلف الطبعة العـادية ، ومئة وخمس وسبعون نسخة على ورق دي ماره ڤيلان بوفان بوزن ٨٠ غراماً ، مرقّمة من ٢٦ الى ٢٠٠ ، وخمس وعشرون نسخة خاصّة بالمؤلف عـلى ورق ڤيلان بوفان بوزن ١٢٠ غراماً مرقّمـة من ١ الى ٢٥

تمّ طبع هذا الكتاب على
مطابع المطبعة الكاثوليكية
بيروت ، في السابع من
تشرين الثاني سنة ١٩٤٩

[redacted]
طبارة ،راشد
علاقة تدريس التاريخ بمبدأ السلام العال
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01019441

American University of Beirut

[redacted]

General Library

907.1
T11gA